

تفسير البحر المحيط

@ 91 @ سفيان على النبي صلى الله عليه وسلم) ومن كان معه ، قاله : السدي ومجاهد أيضا غيرهما . وعبر الزمخشري عن هذا المعنى وهو اجتماع الغمين لهم بقوله : غماً بعد غم ، وغماً متصلاً بغم من الاغتمام بما أرحف به من قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، والجرح ، والقتل ، وظفر المشركين ، وفوت الغنيمة ، والنصر انتهى كلامه . وقوله : غماً بعد غم تفسير للمعنى ، لا تفسير إعراب . لأن الباء لا تكون بمعنى بعد . وإن كان بعضهم قد ذهب إلى ذلك . ولذلك قال بعضهم : إن المعنى غماً على غم ، فينبغي أن يحمل على تفسير المعنى ، وإن كان بعضهم قد ذهب إلى ذلك . ولذلك قال بعضهم : إن المعنى غماً على غم ، فينبغي أن يحمل على تفسير المعنى ، وإن كان بعضهم قد ذهب إلى ذلك . وإن كانت الباء للسبب وهي التي عبر بعضهم عنها أنها بمعنى الجزاء ، فيكون الغم الأوّل للصحابة . والثاني قال الحسن وغيره : متعلقه المشركون يوم بدر . والمعنى : أثابكم غماً بالغم الذي أوقع على أيديكم بالكفار يوم بدر . قال ابن عطية : فالباء على هذا باء معادلة ، كما قال أبو سفيان يوم بدر : والحرب سجال . وقال قوم منهم الزجاج ، وتبعه الزمخشري : متعلقه رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، والمعنى : جازاكم غماً بسبب الغم الذي أدخلتموه على رسول الله صلى الله عليه وسلم) وسائر المؤمنين بفشلكم وتنازعكم وعصيانكم . قال الزمخشري : ويجوز أن يكون الضمير في : فأثابكم للرسول ، أي فأساكم في الاغتمام ، وكما غمكم ما نزل به من كسر الرباعية والشجة وغيرهما غمه ما نزل بكم ، فأثابكم عما اغتمه لأجلكم بسبب غم اغتمتموه لأجله ، ولم يثربكم على عصيانكم ومخالفتكم ، وإنما فعل ذلك ليسليكم وينفس عنكم ، كيلا تحزنوا على ما فاتكم من نصر الله ، ولا على ما أصابكم من غلبة العدو انتهى كلامه . وهو خلاف الظاهر . لأن المسند إليه الأفعال السابقة هو الله تعالى ، وذلك في قوله : { وَلاَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّٰهُ وَعَدَّوْهُ } وقوله : { ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ } { وَلاَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ } وإلا فيكون قوله : { وَلاَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّٰهُ وَعَدَّوْهُ } وقوله : { ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ } { وَلاَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ } وإلا فيكون قوله : فأثابكم مسنداً إلى الله تعالى . وذكر الرسول إنما جاء في جملة حالية نعى عليهم فرارهم مع كون من اهدتوا على يده يدعوهم ، فلم يجيء مقصوداً لأن يحدث عنه ، إنما الجملة التي ذكر فيها في تقدير المفرد إذ هي حال . وقال الزمخشري : فأثابكم عطف على صرفكم انتهى . وفيه بعدٌ لطول الفصل بين المتعاطفين . والذي يظهر أنه معطوف على تصعدون ولا تلوون ، لأنه مضارع في معنى الماضي ، لأن إذ تصرف المضارع إلى

الماضي ، إذ هي طرف لما مضى . والمعنى : إذ صدتم وما لو يتم على أحد فأثابكم . .
{ لَكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ } { اللام لام كي ،
وتتعلق بقوله : فأثابكم . فليل : لا زائدة لأنه لا يترتب على الاغتمام انتفاء الحزن .
فالمعنى : على أنه غمهم ليحزنهم عقوبة لهم على تركهم موافقتهم قاله : أبو البقاء وغيره
 . وتكون كهي في قوله : { لَكَيْلًا يَعْزِمُ أَهْلُ الْكِتَابِ } إذ تقديره : لأن يعلم .
ويكون أعلمهم بذلك تبكيثاً لهم ، وزجراً أن يعودوا لمثله . والجمهور على أن لا ثابتة
على معناها من النفي . واختلفوا في تعليل الإثابة بانتفاء الحزن على ما ذكر . .
فقال الزمخشري : لكيلا تحزنوا لتتمروا على تجرع الغموم ، وتضروا باحتمال الشدائد ،
فلا تحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع ، ولا على مصيب من المضار انتهى . فجعل العلة
في الحقيقة ثبوتية ، وهي التمرن على تجرع الغموم والاعتیاد لاحتمال الشدائد ، ورتب على
ذلك انتفاء الحزن ، وجعل طرف الحزن هو مستقبل لا تعلق به بقصة أحد ، بل لينتفي الحزن
عنكم بعد هذه القصة . وقال ابن عطية : المعنى لتعلموا أن ما وقع بكم إنما هو بجنايتكم
 ، فأنتم أذيتم أنفسكم . وعادة البشر أن جاني الذنب يصبر للعقوبة ، وأكثر قلق المعاقب
وحزنه إنما وقع هو مع ظنه البراءة بنفسه انتهى . وهذا تفسير مخالف لتفسير الزمخشري .
ومن المفسرين من ذهب إلى أن قوله :